منهج ابن الطيّب الفاسيّ (ت ١١٧٠ه) في موطّئة الفصيح وأثره في تنمية اللّغة

*الباحثة: م. م. وفاء طارش داود أ. د. مجيد خير الله راهي

جامعة واسط/ كلية التربية للعلوم الانسانية / قسم اللغة العربية

wafaatarish1990@gmail.com

تاريخ الاستلام : 2021-08-16

تاريخ القبول : 2021-12-20

ملخص البحث:

إنّ اللغة العربيّة حُرِمَت من كثيرٍ من الاستعمالات الصحيحة ، التي يرقى كثير منها إلى مرتبة الفصاحة ، أو الأفصح ، وذلك بسبب تشدد اللغويين الذين قد غلوا في خوفهم على هذه اللّغة المقدّسة ، ومحاولتهم الحفاظ على أساليبها النقيّة الفصيحة ومنع كلّ ما يمكن أن يقدح بفصاحتها .

ومن نتائج تشدد اللّغوي (ثعلب) في كتابه الفصيح (موطّئة الفصيح لموطأة الفصيح) شرح ابن الطيّب الفاسيّ (ت ١١٧٠هـ)، الذي عرفَ بذكائه وحذقه بعلوم اللّغة؛ لذلك كانت رؤيته في شرحه نظم الفصيح لابن المرحّل (ت ٦٩٩ هـ)(موطأة الفصيح) تختلف عمّن سبقه ؛ إذ سعى في شرحه إلى إسفار اللّثامِ عن الكثير من الاستعمالات اللّغويّة التي طرحها ثعلبٌ من فصيحه ؛ لأنّها لم ترتقِ عنده إلى مرتبة الفصاحة ، فأثبت ابن الطيّب فصاحتها ، وصحّة استعمالها .

الكلمات المفتاحيّة : ابن الطيّب الفاسيّ ، منهج ، موطّئة الفصيح ، تنمية اللّغة

The curriculum of Ibn Al-Tayyeb Al-Fassi(d.1170 AH) in Muwatta' al-Faseeh and its impact on the development of language

Wafaa Tarish Dawood Prof. Dr. Majeed Khair Allah Rahi

Wasit University

Receipt date: 2021-08-16

Date of acceptance: 2021-12-20

Abstract

Confirmation of identity in most cases achieves safety, preserves human dignity and asserts himself. A person is born with signs that are not of his choice, such as: place of birth, name, clan, nationality, language, religion, sect, and other signs that are not of his choice. As he matures, his identity will not remain in the same image, but other new identities will arise for him by his choice or by virtue of the circumstances surrounding him, and his identity is linked to the group, place and authority.

Keywords: identity, uprooting, marginalization, conflict, belonging, migration.

المقدمة:

قدّم الدكتور عبد العلي الودغيري في بحثه الموسوم : (اللفظ ومستواه الصوابي من خلال : موطئة الفصيح لابن الطيّب الشرقيّ) عرضا وافيا لمنهج ابن الطيّب الفاسيّ (ت ١١٧٠هـ) في موطّئة الفصيح (الودغيريّ ، ١٩٨٧ ، ٤٤-٤٧) ، ولمّا كان موضوع هذا البحث مقتصرًا على أثر منهج ابن الطيّب في تنمية اللغة وجدت من المناسب أن يكون الحديث عن منهج ابن الطيّب مقتصرا على التنمية والاتساع وما يتعلّق بذلك طلبًا للاختصار وتجنّبا للخروج عن الموضوع محور البحث.

ويمكن بيان أهم السمات المنهجيّة للتنمية والاتساع في الموطئة بما يأتي :

١- يسعى ابن الطيّب الفاسيّ في موطئته إلى بيان ما يقابل الفصيح عند ثعلب في ترجمته لكلّ باب من أبواب الفصيح ، وهذه أول خطوة للتنمية والاتساع في كلّ باب يفصّل فيه القول ، من ذلك قوله في ترجمة (باب فَعَلْتُ بفتح العين) : " وهذا الباب عقده الناظم كأصله للفعل الوارد على فَعَلَ بفتح العين في الفصيح ، ومقابله الكسر أو الضم أو هما ، وقد يأتي بما فيه الفتح فقط ، لأن من عاصره حرفه فينبه على أن الصواب هو الفتح... ونحن نلم باللغات المقابلة للفصيح ونبسط فيها القول "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٤٧/١) .

في نصّ ابن الطيّب المذكور نستنتج قضايا عدّة ، وهي :

أ- حين ذكر البناء الذي انتظم الباب لأجله ، ذكر ما يقابله ، إشارة إلى أنّ هذا البناء فيه لغات أخر ، قد أهملها ثعلب وابن المرحّل في نظمه .

ب- إنّ في قوله : " وقد يأتي بما فيه الفتح فقط ، لأن من عاصره حرفه ... " دلالة على أنّ الشارح (ابن الطيّب) قد سلك منهجا واضحا في التنمية والاتساع ؛ لأنّ التنمية عنده قائمة على التفريق بين التطوّر والانحراف ، فهنا قد نصّ على لفظ (حرّفه) ليميز بينه وبين مقابل الفصيح ، فالمحرّف مرفوض أمّا مقابل الفصيح فهو مقبول كما سيأتي في بيان موقفه منه في المبحث الثّاني من هذا الفصل .

ت- إنّ في قوله : " ونحن نلم باللغات المقابلة للفصيح . ونبسط فيها القول إن شاء الله تعالى " تهيئة لذهن القارئ بما سيطرحه ويناقشه وقد يثبته بفصاحة اللغات المقابلة للفصيح ، بل قد يكون بعضها هو(الأفصح) .

٢- أحيانا لا يذكر ابن الطيّب مقابل الفصيح في ترجمة الباب ، كما في(باب ما يقال بلغتين) (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١١٥٦/٣) ، و (باب من الفرق) (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٣٣٣/٣) .

٣- بعد بيانه ما يقابل الفصيح في مجمل الباب الذي يترجم له ، يأتي بعد ذلك إلى بيان ما يقابل الفصيح في كلّ مفردة لغويّة ، وذلك حين يشرح كلّ بيت من أبيات نظم ابن المرحّل ، ويمكن بيان ذلك بما يأتي :

أ- في إبداء رأيه يعمد ابن الطيّب أوّلا إلى أن يجمع الآراء المختلفة للعلماء على القضيّة اللغويّة، ويذكر الردود المتعددة فيها من قبلهم _ إن وجدت _ ، ثمّ ينتقل لإبداء رأيه بقوله : " قلت " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٤٢/١) ، " أقول " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٤٧/١) ، أو يأتي رأيه ضمن بيانه للقضيّة والآراء فيها (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٢٧/١) .

ب - في كثير من المواضع يعمد ابن الطيّب إلى ذكر الآراء في المادة اللغويّة (موضوع الباب) ، فيناقش ، ويردّ ، ويرجّح ، وهذا يجعلنا نثقّ بأننا أمام شخصيّة علميّة رصينة ، لا تعتمد النقل والجمع فقط ، بل لها القول الفصل ، قد ذكر ذلك في مقدّمته ، قائلا : "وأوضحت فيها مشكلات حارت فيها العقول ، وفتحت مُقفَلات ترددت فيها النقول ، ولم أكن ممن ديدنه التقليد لأحد من البشر:

ولستُ بإمَّعة في الرجال أسائل هذا وذا ما الخبر

ولكن أدور مع الحق حيث ما دار " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١/١) ، ويمكن بيان ذلك بعرض إحدى القضايا اللغويّة التي ناقشها في الموطّئة ، من ذلك ما ذكره في (نمى المال) ، فحين شرح بيت النظم :

قَالَ نَمَى الْمَالُ بِمَعنَى كَثُرَا يَنْمِي نُمِيًا إِنْ أَرَدتَ الْمَصْدَرَا

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ٣) ذكر نصّ فصيح ثعلب : " نمى المال وغيره ينمي " (ثعلب ، د.ت ، ٢٦٠) ، ثمّ ذكر اعتراض ابن هشام اللخميّ له في شرحه للفصيح ،بأنّ الفعل (نمى) فيه لغتان ، الأولى (نمى ينمي) بالياء ، والثانية (نما ينمو) بالواو ، وذكر ابن هشام بأنّ اللغتين فصيحتان ، بل ذهب إلى أنّ اللغة التي تركها ثعلب هي الأفصح (اللّخميّ ،

١٩٨٨،٤٨) وقد ذهب ابن الطيّب إلى تأييد ما حكاه ابن هشام ، قال بعد أن أورد كلام ثعلب ورد ابن هشام عليه: " قلتُ : وما قاله صحيح متجه على أبي العباس ، ولذلك صدر جماعة من أرباب التآليف بالواوية قبل اليائية كالمجد وغيره ، وذلك يقتضي أفصحيته كما في شرح الأصل " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٤٨/١).

وبعدما قضى بأفصحيّة (نما ينمو) استدرك بأفعال ابن القطاع الذي وافق ثعلب بأفصحيّة (نما ينمي) (الصقليّ ،١٩٨٣ ، ٢٧٨/٣ ، الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٤٨/١)، وهذا يدلّ على إلمام ابن الطيّب بالآراء المختلفة في المسألة الواحدة .

وهذا المنهج غالب في موطئته ، ويمكن مراجعة شرحه المواد اللغويّة في جلّ أبوابه ، منها على سبيل المثال : (ذوى ، جفّ ، غوى ، فسد ، مسّ ، سفف ، وقف ، علف، طول ، مجدّر ، البون) وغير ذلك كثير .

جـ – يوفّق ابن الطيّب بين أقوال العلماء المختلفة في بعض المواضع ، ويرتضي جميعها ، من ذلك قوله في بيان دلالة (اللّجاج)، في شرحه قول ابن المرحّل :

... ... وَقَدْ لَجِجْتَ يَا فَتَى تَأَبِّيَا

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ١٣) فبعد أن بيّنَ اللغة الأفصح (لَجَّ – يَلَجُّ) بكسر الماضي وفتح المستقبل ، واللغة المقابلة لها (لجَّ – يلِجُّ) بفتح الماضي وكسر المستقبل (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٥٧/١) ، بيّن اختلاف اللغويين في دلالة (اللجاج) قائلا : " واللجاج فسره المجد بالخصومة ، وابن القطاع: بعدم الانصراف عن الشيء ، و الجوهري و عياض و الفيومي ، و ابن فارس بالتمادي في الأمر والتماحك في الخصومة ، وكلّها متقاربة " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١١٥٧/١ ، ١١٥٨) .

فابن الطيّب لم يرتض قولا على حساب قول آخر ، أو يناقش الأقوال منفردة ، بل عمد إلى الجمع بينها بما لا يخرج عن المعنى العام لدلالة اللفظ ، وجدير بالذكر أنّ ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) لم يذكر هذه الدلالة التي نقلها ابن الطيّب حين بيّن مادّة (لجّ) ، ودلالة (اللّجاج) في مجمل اللّغة (ابن فارس ، ١٩٨٦ ، ٧٩٢/٢) ولا في مقاييس اللّغة (ابن فارس ، ١٩٧٩ ، ٢٠١/٥) .

د – في بعض المواضع من الموطّئة يذكر ابن الطيّب الأقوال المختلفة ، والآراء المتعددة ، من دون أن يناقشها ، أو يبيّن رأيه فيها ، بل يكتفي بعرضها دون إبداء القول فيها ، من ذلك ذكره اللغات في (اللعب) ، قال : " و اللعب بفتح اللام وكسر

العين الموحدة وبالموحدة مصدر لعب كفرح إذا لهى وفيه لغة ، اللعب بكسر اللام وسكون العين وهي مقابلة الفصيح والله أعلم ، وعلى هذين اللغتين اقتصر الجوهريّ وغيره ، وزاد المجد بالفتح أيضا على التخفيف ، وهذه أنكرها ابن قتيبة وغيره قال ابن قتيبة لم يسمع في التخفيف فتح اللام مع السكون ، ونقله في المصباح وغيره " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٧٥٠/٢) .

فذكر أولا اللغتين في (اللعب) ، ثم بيّن مقابلة الفصيح منهما ، واقتصار الجوهري عليهما ، وزيادة صاحب القاموس المحيط عليهما وإنكار ابن قتيبة لما زاده المجد الفيروزآبادي من دون أن يكون له إبداء رأي أو مناقشته ، وإنما اكتفى بعرض الآراء فيها .

هـ – على الرغم من منهجه المتسمّح في قبول اللغات التي من شأنها أن تساهم في تنمية اللغة نجده يرفض اللّغة التي لم تثبت صحتها عن العرب ، لذلك فإنّه يصف مقابل الفصيح في بعض المواضع بأنّه لغة عاميّة ، من ذلك بيانه مقابل الفصيح (لحائط) ، قال : " ويطلق الحائط على البستان أيضا ، وكأن مقابل الفصيح حِيط بغير ألف ، وهي لغة عامية لا ينبغي التكلم بها " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٣٠٠/٣) .

فابن الطيّب لم يكتف هنا بوصف (الحيط)بالعاميّة ، بل ذهب إلى منع التكلّم بها ، وهذا يدلّ على أنّ التنمية والاتساع عنده ليست على حساب الفصاحة والصحّة اللغويّة ، فما كان عاميّا يفتقر إلى الصحّة في الاستعمال ، ويفتقر إلى ما يؤيّد وجوده في لغة العرب مرفوضٌ مطّرحٌ عند ابن الطيّب .

و – حين لم يهتدِ ابن الطيّب إلى مقابل الفصيح يصرّح بأنّه مفقود ، أو معدوم ، أو غير موجود ، فممّا صرّح بأنّ مقابله مفقود (لَقِم) ، قال : " لَقِم الشيء يلْقَمه كسمع ، والتقمه : أكله سريعا ... ومقابل الفصيح في لَقِم مفقود كما صرح به في شرح الأصل " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٣١/١) .

وممّا ذكر بأنّ مقابله غير موجود (وُقِصَ) مبنيّ للمفعول ، ففي شرحه قول ابن المرحّل :

وَوُقِصَ الْإِنسَانُ وَقْصَا أَيْ صُرِعْ فَانْكَسَرَتْ عُنُقُهُ لَمَّا وَقَعْ

(ابن المرحل ، ٢٠٠٣ ، ٢٤) بيّن ابن الطيّب أنّ بناء (وقص) للمفعول هو الأفصح ، وأنّ مقابله غير موجود ، قال : " بناؤه للمفعول كما في النظم وأصله هو الأفصح ، ومقابله غير موجود في كلامهم ، نعم في عبارة الأصمعي ما يقتضي أن

من عاصره كان يقوله مبنيا للفاعل فنفاه ، وكأن من عاصر أبا العباس أيضا قال ذلك ، فذكره في هذا الباب مبينا للصواب ، وإن لم تكن فيه إلا لغة واحدة "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٣٠٤/١) .

فابن الطيّب يصرّح بأنّ (وقص) لا يستعمل إلا مبنيا للمفعول ، وإنّ مقابلَه غير موجود ؛ لأنّه ممّا فيه لغة واحدة .

أمّا إذا لم يكن هناك لغة أخرى في الاستعمال ، فإنّ ابن الطيّب يصرّح بأنّ هذا الاستعمال لا زيادة فيه على ما ذكره ثعلب وابن المرحّل ، قال في شرحه بيت النظم :

وَقَدْ بَرَدتُّ بِالْبَرُودِ عَيْنِي أَبْرُدُهَا بِالضَمِّ دُونَ مَيْنِ

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ٢٠) " أقول : لا مزيد في هذا الفعل على ما في النظم وأصله "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٢٦٥/١).

وتجدر الإشارة إلى أنّ ابن الطيّب يذكر أحيانا مقابل الفصيح احتمالا ، من ذلك قوله في مقابل الفصيح للفعل (صادَ) في شرحه قول ابن المرحّل :

وَصِدتُ صَيْداً فَأَنَا أَصِيدُهُ كَقَوْلِهِمْ : كِدتُ الْفَتَى أَكِيدُهُ

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ٢٢) قال : " يقال :صاد الصيد يصيده ويصاده كباع وهاب صَيْدًا إذا أخذه وقبضه ، والصيد مصدر ... قلت : مقابل الفصيح هنا كأنّه معدوم لأنه لم يرد عنهم أصاده رباعيا ، فكأنه مما فيه لغة والناس على خلافها ، فقصد الرد عليهم ، ويحتمل أن يكون مقابل الفصيح اصطاد على افتعل ، وإن كان فيه بعد "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٢٨٧/١).

فقد بيّن ابن الطيّب أنّ مقابل الفصيح للفعل (صادَ) كأنّه معدوم ؛ لأنّ العرب لم تستعمل (أصاده) ليكون مقابلا للفصيح ، ثمّ ذكر احتمالا أنّ مقابل الفصيح قد يكون اصطاد ، ولكنّه وصف هذا الاحتمال بالبعد .

وممّا يلتفت إليه أنّ ابن الطيّب لا يصرّح بأنّ مقابل الفصيح مفقود أو معدوم أو غير موجود إلّا بعد تدبّر واطّلاع واسع ، يدلّ على ذلك تتبّعه لابن هشام في زعمه أنّ مقابل (بَلِع) مفقود ، قال : " بَلِع الطعام بلَعا بالتحريك ، وبَلِع الماء والريق بَلْعا بالفتح بكسر الماضي وفتح المستقبل كفرح فيهما :ابتلعه ، هذه اللغة الفصحى ... وزعم شارح الأصل أن مقابله مفقود وإنما ذكره المصنف لأن الناس على خلافها " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٢٨/٢).

وقد ردّ ما ذهب إليه ابن هشام بقوله : " قلت : اقتصارهم على هذه اللغة قصور فقد صرح الفيومي وغيره بأن فيه لغة أخرى وهي الفتح فيهما معا كمنع ، فتكون هي مقابلة الفصحى خلافا للشارح والله أعلم " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٢٩/١) .

فاللّغة التي يصرّح ابن الطيّب أنّ مقابلها مفقود أو ما شابه هي مما فيه لغة واحدة ، ولم يرد استعمال غيرها عن العرب ؛ لذلك نجده ردّ على ابن هشام بجعله مقابل (بَلِعَ يبلَع) مفقودا ، لأنّه قد أثبت وجوده بتصريح الفيّوميّ وغيره بأنّ فيه لغة أخرى (بَلَع يبلَع) .

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ ابن الطيّب يعمد أحيانا إلى أن يذكر فقدان مقابل الفصيح إجمالا في مقدّمة الباب ، من دون تفصيل ، كما في ترجمته (باب فعلت بكسر العين) ، قال : " وعدم ذكرنا لغير الكسر دليل على فقده إلا ما نذكره استطرادا "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٢٣/١) .

٤- في مواضع كثيرة من الموطّئة نجد ابن الطيّب يتتبع العلماء في ما يخص الإلمام باللغات المذكورة عن العرب؛ لذلك نجده ينتقد بعضهم ، واصفا إيّاه بالإغفال تارة ، وبالقصور تارة أخرى ، فمثلا نجده بعد أن ذكر قول ابن المرحّل :

وَقَدْ ذَهَلْتُ عَنْكَ أَيْ شُغِلْتُ وَقِيلَ : قَدْ نَسِيتُ أَوْ غَفَلْتُ

أَذْهَلُ فِي اسْتِقْبَالِهِ بِفَتْحِ وَهُوَ الذُّهُولُ فَادْرِهِ بِشَرْحِ

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ٥) بيّن أنّ اللغة الأفصح _ بحسب الفصيح ونظم الموطأة _ (ذَهَل) _ بفتح الذال والهاء _ يذهَل، ثم ذكر أنّ (ذَهِلَ) مقابل الفصيح (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٨٠/١) ، ناقلا قول الجوهريّ : " ذَهَلْتُ عن الشيء أَذْهَلُ ذَهْلاً : نَسِيته وغَفَلْت عنه ... وفيه لغةٌ أخرى : ذَهِلَت بالكسر ذُهُولاً " (الجوهريّ ، ١٩٩٠ ،١٧٠٢/٤) ، ثمّ ذكر أن ابن هشام في شرحه للفصيح قد نقلها ، وقال بأنّها لغة (اللّخميّ ، ١٩٨٨ ، ٥٢ ، الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٨٠/١) .

وبعد نقله قول الجوهري ، وابن هشام ، انتقد المجد الفيروزآبادي ؛ لإغفاله هذه اللغة ، قال : " وإغفالُ المجد إيّاها مع شدة تتبعه للصحاح بما يقضى له بالعجب الصراح " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٨٠/١) .

فابن الطيّب يرى عدم ذكر الفيروزآبادي للغة (ذَهِل) إغفال منه لتتبع اللغات . أمّا تتبعه للقصور عند بعض العلماء فشواهده كثيرة في الموطّئة ، منها ما ذكره في (الدجاجة) ، فبعد أن ذكر بيت ابن المرحّل :

وَهَذِهِ دَجَاجَةٌ وَشَتْوَة وصَيفَةٌ وكَثْرةٌ يَا عُرْوَة

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ٩١) بيّن أنّ فتح (الدال) فيه الأفصح _ بحسب ما ذكره ثعلب في فصيحه وابن المرحّل في نظمه وغيرهما _ ، ثمّ بيّن مقابل الفصيح وهو الكسر والضم ، منتقدا اقتصار الفيومي ، والجوهري ، والزبيدي على الكسر والفتح ، وعدم ذكرهم الضم ، واصفا ذلك بالقصور ، قال : " الدجاجة طير معروف ، والفتح فيه أفصح ... ومقابله الكسر والضم كما في القاموس وغيره ، واقتصار الفيومي كالجوهري والزبيدي على الكسر والفتح فقط قُصورٌ " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٧٣١/٢).

وفي موضع آخر نجده ينتقد أرباب التآليف ، آخذًا عليهم بالقصور ، ففي شرحه قول ابن المرحّل :

قَدْ قَضِمَتْ شَعِيرَهَا الْحَمِيرُ أَيْ أَكَلَتْ وَأَكْلُهَا يَسِيرُ

وَأَصْلُ ذَاكَ الْأُكُلُ بِالْمُقَدَّمِ بِالْشَّفَتَيْنِ أَوْ بِأَسْنَانِ الْفَمِ

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ١٠) بيّن أنّ اللغة الفصحى (قَضِمت) _ بحسب ما ذكره ثعلب وابن المرحّل _ ثمّ بيّن أنّ الجوهريّ والمجد الفيروزآبادي ، وابن القوطية ، وابن القطاع ، وابن فارس ، والزبيدي ، والقاضي عياض وغيرهم ، اقتصروا على هذه اللغة(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٢٣/١) .

وقد استدلّ على مقابل الفصيح بقول الفيومي : " قَضِمت الدابة الشعير تقضَمه من باب تعب كَسَرتْه بأطراف الأسنان ، وقضمت قضما من باب ضرب لغة " (الفيوميّ ، ١٩٢٢، ١/ ٦٩٥ ،٦٩٦).

وبعد أن بيّن مقابل الفصيح عاد فأخذ على العلماء اقتصارهم على لغة واحدة ، بكونها اللغة الأفصح ، واصفا إيّاه بالقصور ، قال : " وأقول : لا يبعد أن يكون مقابل الفصيح هنا الفتح في الماضي والكسر في المستقبل كضرب كما صرح في المصباح ... فاقتصار أرباب التآليف على الكسر قصور " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٢٣/١) .

وما تقدّم يتوافق مع منهجه الذي يسعى من خلاله إلى الإلمام باللغات التي استعملها العرب وثبتت صحتها ، بغضّ النظر عن درجة فصاحتها ، لتكون سبيلا نحو التنمية والاتساع في اللغة ، فبحسب رأيه لا يصحّ الاقتصار على بعض اللغات

دون بعض ، فعلى الناقد ، أو المؤلّف الإلمام باللغات جميعها ، ما دامت هذه اللغات صحيحة مستعملة عند العرب ، ويوجد ما يدلّ على صحتها .

٥ – على الرغم من أنّ ابن الطيّب يسعى إلى التنمية والاتساع في اللغة نجده يرفض أن تكون التنمية على حساب صحّة الاستعمال ؛ لذلك نجده في مواضع كثيرة من الموطّئة يصف آراء بعض العلماء (بالإغراب) ، من ذلك ما وصف به قول الفيوميّ في (رفو ، رفي ، رفأ) ، وذلك في شرحه قول ابن المرحّل :

وَرَفَأَ الثَّوْبَ وَهَذَا يَرْفَأُ وَهَدَأَ النَّاسُ وَهَذَا يَهْدَأُ

يَرْفَأُ أَيْ يَخِيطُ فَهُوَ رَافِئُ يَهْدَأُ أَيْ يَسْكُنُ فَهُوَ هَادِئُ

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ٥٤) فذكر ابن الطيّب آراء عدد من العلماء في (رفأ) ، (رفأ) بمعنى الاتقان والالتحام ، و (رفو) بمعنى الهدوء والسكون ، وذكر أنّ بعض العلماء ذهبوا إلى صحّة استعمال (رفأ) بالهمز ، و (رفو) من دون همز للمعنيين معا ، ثمّ بيّن أنّ استعمال (رفو) هو مقابل الفصيح (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٥٢١/١) .

وبعد ذكره لآراء العلماء في (رفأ) و (رفو) ذكر أنّ الفيوميّ قد (أغرب) في قوله : " رفوت الثوب رفوا من باب قتل ورفيته رفيا من باب رمى لغة بني كعب ، وفي لغة رفأته أرفؤه مهموز بفتحتين إذا أصلحته " (الفيوميّ ، ١٩٢٢ ، ٣١٩/١) ، فقال ابن الطيّب : " وقد أغرب في المصباح فقال ... فان ظاهره ربما يقتضي أفصحية رفوته الواوي ، ومرجوحية رفأته المهموز حيث أخّره وعزاه للغة منكرة ، وقد انفرد بحكاية رفى كرمى " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٥٢٢/١) .

فهو وصف قول الفيومي المذكور (بالإغراب) ؛ لأنّه قد خالف فيه الاستعمال المنقول عن العرب ؛ لأنّه قد أخّر اللغة الفصحى (رفأ) ، وقد ضعّفها بنسبتها إلى (لغة) لم يعرّفها ، إضافة إلى أنّه انفرد بذكره لغة نسبها إلى بني كعب وهي (رفى) .

٦– لم يتوانَ ابن الطيّب في توجيه سهام النقد اللاذع إلى بعض آراء العلماء ، التي تقف بوجه التنمية والاتساع في اللغة ، فنجده في بعض المواضع يصف بعض العلماء بعدم الضبط ، أو بالتخليط والتعجرف ، أو بالوهم ، أو بالجهل ، أو بالعناد .

فنجده يتّهم الكسائي بعدم الضبط و قلّة التثبت ، فبيّن أنّ (وَدَّ) _ بكسر الماضي ، وفتح المستقبل _ لها معنيان : أحبّ ، وتمنّى ، ويفرّق بينهما بالمصادر(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٥٨/١) ، وذكر أنّ هذه اللغة هي الفصحى التي تكلّمت بها العرب ، ومقابلها الفتح في الماضي والمستقبل (كمنع) ، وذكر أنّ هذه اللغة حكاها الكسائي ، وقد وهّمه كثير من البصريين ، قال : " هذه أفصح لغتيه في المعنيين ، وبها تكلمت العرب ، ومقابلها الفتح فيهما كمنع ، حكاها الكسائي ، ووهمه كثير من البصريين قال الزجاج : ولم ينقل الكسائي الا ما سمع ، ولكنه سمعه ممن لا يوثق بفصاحته " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٥٩/١).

ثمّ علّقَ قائلا : " قلت : فهو وان سلم من الخطأ في النقل فقد وقع في عدم الضبط وقلة التثبت بسبب نقله عن الغير موثوق بفصاحتهم "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٥٩/١) .

فابن الطيّب نسب عدم الضبط وقلّة التثبت إلى الكسائيّ في نقله لغة (ودّ) بفتح الماضي والمستقبل عمّن لا يوثق بفصاحتهم ؛ لأنّه _ بحسب ما ذكرنا سابقا _ أنّه يشترط في التنمية والاتساع الصحّة في الاستعمال عند العرب . وفي موضع آخر من موطّئته نجد أنّ ابن الطيّب ينسب التخليط والتعجرف إلى الجوهريّ ، وذلك في بيانه مذاهب العلماء في وزن (أشياء) ، فقال بعد أن بيّن اختلاف العلماء في وزنه : " وللجوهريّ هنا تخليط وتعجرف وضرب بعض المذاهب ببعض " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٦٥/١) .

وكذلك نجده ينسب الوهم إلى بعض العلماء في بعض المواضع ، منها ما ذكره في شرحه قول ابن المرحّل :

وَشَمَعٌ وَشَعَرٌ وَنَهَرُ وَلَيْسَ إِسْكَانُ الثَّوانِي يُنْكَرُ

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ،٨٨) فبعد أنّ بيّن دلالة المفردات (شمع ، شعر ، نهر) التي وردت في بيت ابن المرحّل ، بيّن أنّ فتح العين وتسكينها في هذه المفردات صحيح فصيح مشهور عند العرب ، وقد ذكر أن جواز تسكين العين في (الشعر ، والنهر) متفق عليه ، أمّا (الشمع) فالأشهر أفصحيّة الفتح والسكون أيضا (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٧٠٨/٢ ، ٧٠٩) ، ثمّ قال : " وقال المجد كالجوهري إن تسكين الميم مولد وليس من كلام العرب ، ونقله في المصباح عن الفراء وفيه تأمل ، فإنّ ابن السكّيت نقل التسكين عن العرب والحافظ حجة كما تقرر وكلام ابن فارس يقتضي أن السكون أكثر من التحريك ... وفي شرح

الأصل شَمْع وشَمَعٌ لغتان فصيحتان ... وقال التّبّانِي شَمَع كقدم يسمى بالفارسية المؤم وتسكين ميمه خطأ وغلط فيه "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٧١٠/٢) .

وقد استنتج ابن الطيّب في ضوء ما تقدّم أنّ الفيروزآبادي قد(وهم) ، قال : " وبه يعلم أن المجد وهم من وجهين : الأول ادعاؤه أن السكون غلط ، والثاني : زعمه أن المؤم عربي "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٧١٠/٢).

فقد قدّم ابن الطيّب أولا ما يثبت أنّ تسكين العين في(الشمع) لغة صحيحة فصيحة نقلت عن العرب ،وليس كما زعم الفيروزآبادي وغيره ، بأنّ التسكين مولّد ليس من كلام العرب ، بل أنّ بعضهم كابن فارس قدّمها على لغة التحريك ، وهذا يقتضي أن التسكين (الشمْع) أكثر من الفتح (الشمَع) ، ثمّ استدلّ بقول التّباني ليثبت أنّ المؤم فارسيّ وليس عربيّا كما ادّعى الفيروزآبادي .

ومن انتقاداته لبعض العلماء وصفهم بالجهل والعناد ، وذلك في بيانه مصدر (ولِدت) ، قال : " والولاد مصدر من ولدت تلد وِلادا و وِلادة وإلادة ولِدة وإنكار بعضهم الوِلاد تصور مستنده الجهل والتحكيم والعناد "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٥٩٨/٢).

٧- يلجأُ ابن الطيّب أحيانا إلى انتقاد بعض النصوص ، ثمّ يعودُ ليبحثَ عمّا يمكن أن يخرّج النصّ مما فيه ، من ذلك ردّه على الفيروزآبادي في قوله : " نَشْوَا ونَشْوَةً مثلثةٌ سَكِرَ كانْتَشَى وَ تَنشَّى ... ورجُلٌ نَشْوانُ ونَشْيانُ : سَكْرانُ بَيِّنُ النَّشْوَةِ ، بالفتح " (الفيروزآباديّ ، ٢٠٠٠ ، ١٣٣٩) ، فانتقده ابن الطيّب قائلا : " قلت : لا يخفى ما في ظاهره من شبه التناقض فانه ضبط النشوة أولا بالتثليث وثانيا بالفتح فقط " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٦٠٧/٢) .

ثمّ عمد إلى محاولة إيجاد تأويل للنصّ يبعده عن هذا التناقض ، قال : " وقد يجاب عنه على بعد بأنه أراد بالمثلثة مطلق المصدر كما في الخلاصة ، ويؤيده إيراده إياها عقب تصريف الفعل مع النشو المفتوح المجرد الدال على مطلق الحدث كذلك ، وبالمفتوح المرة منه وهي لا تكون إلا مفتوحة كما تقرر في التصريف "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٦٠٧/٢) .

أيّ أنّه أراد بالمثلثة (النّشوة) المصدر ، وأراد بالفتح (النَّشوة) اسم المرّة ، وبذا يخرج النصّ من التناقض الذي اكتنفه ، ويبدو لي أنّه رأي وجيه فيه قبول ؛ لأنّه لا يمكن تصوّر إيراد الفيروزآبادي (النّشوة) مرة مثلثة ، ومرّة بالفتح ،بالدلالة نفسها ، وبالنصّ نفسه ، من دون أن يعي ذلك .

٨- ومن منهجه في التنمية والاتساع نجده يتتبّع زيادة العلماء لكثير من البنى الصرفيّة ، فقد بيّنَ ابن الطيّب أنّ (خَزِي) إن كان بمعنى (هانَ) كان مصدره (الخِزْي) ، وإن كان بمعنى (استحيى) كان مصدره (الخَزَاية) (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٥٩٥/٢) ، ثمّ ذكر بأنّ الفيروزآبادي زاد مصدرا آخر للمعنيين ، قال : " وزاد المجد الخَزَى بالفتح والقصر أيضا على القياس ، فهو يكون بمعنى الهوان وبمعنى الاستحياء " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٥٩٦/٢) .

فالخَزَى مصدر للفعل (خزِي) سواء أكان بمعنى (هانَ) أم بمعنى(استحيى) ، وقد ارتضى ابن الطيّب هذه الزيادة ، بدليل أنّه قرنها بالقياس ، فهذه الزيادة التي ذكرها الفيروزآبادي زيادة صحيحة جارية على قياس العربيّة .

ومن تتبعه لزيادة البنى الصرفيّة عند العلماء ما ذكره في شرح بيت ابن المرحّل :

وَسَحَّتِ الشَّاةُ تَسِحُّ فَافْهَمُوا سُحُوحَةً أَيْ سَالَ مِنْهَا الدَّسَمُ

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ٧١) فبعدما ضبط الفعل (سحَّت تَسِحُّ) ، وبيّن مصدره (سُحُوحة) ، بيّن أنّ ابن المرحّل اقتصر على هذا المصدر تبعا لثعلب في فصيحه (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٦١٤/٢) ، ثمَّ تتبع زيادة العلماء في مصادره، فقال : " وزاد ابن القطاع كالجوهري السُّحوح بالضم أيضا ، وزاد الزبيدي السح " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٦١٤/٢).

فانطلاقا من منهجه نحو التنمية والاتساع تتبع ابن الطيّب ما زاده العلماء في البنى ، وهذه السمة المنهجية كثيرة في موطّئته .

٩ – ومن منهجه في التنمية والاتساع ، نجد ابن الطيّب يولي (المثلثات) اللغويّة عناية فائقة في موطّئته ، فينبّه عليها ، ويتتبع ذكرها عند العلماء ، من ذلك ما ذكره في (الفصّ) ، فقد ذكرَ أنّ (الفَصّ) بالفتح هو الأفصح ، ثمّ تتبع أقوال العلماء فيه ، فذكر قول الجوهريّ بأنّ العامة تقوله بالكسر (الفِصّ) ، وكذلك نقل عن ابن السكّيت والفارابي أنّ الكسر رديء (الجوهريّ ، ١٩٩٠ ، ١٠٤٨/٣ ، التبريزيّ ، ١٩٨٣ ، ٣٩٨ ، الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٦٩٠/٢ ، ٦٩١) .

ثمّ قال معقّبا على أقوالهم : " قلت : الذي صرح به ابن السيد وغيره أن الفص مثلث وقد نقله المجد فقال : الفص للخاتم ، ويثلث عن ابن السيد والجمع فصوص ... وفي نسخة منه : الفص للخاتم مثلثة ، والكسر غير لحن ، ... ونقله الشهاب وعليه فمقابل الفصيح الكسر والضم والله أعلم " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٦٩١/٢) .

فحين استدلّ بما نقله عدد من العلماء بأنّ (الفصّ) مثلثة ، أثبت أنّ الكسر ليس لحنا ، وإنّما هو لغة صحيحة ؛ لذلك عدّ الكسر والضمّ مقابلين للفصيح ، وقد بيّنّا سابقا أنّ مقابل الفصيح عند ابن الطيّب ليس لحنا ، بل هو لغة صحيحة مستعملة عند العرب بغضّ النظر عن موقعها في سلّم الفصاحة .

وفي موضع آخر من الموطّئة نجد ابن الطيّب يبيّن أنّ الفعل (أمر) يزاد على مثلثات قطرب ، وذلك في شرحه قول ابن المرحّل :

وَقَدْ أَمَرْتَ يَا فَتَى عَلَيْنَا صِرْتَ أَمِيراً فَأَقِمْ لَدَيْنَا

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ٣٣) فبيّن أنّ الذي صرّح به ابن المرحّل تبعا لثعلب من فتح الفعل (أمَر) بمعنى (وَلِيَ) اقتصر عليه الفيّومي ، وكذلك تمالأ الصرفيّون على فتحه ، ولكن في(أفعال) ابن القطاع ما يقتضي ضمه، وذكر الفيروزآبادي في القاموس أنّه مثلّث (الصقليّ ، ١٩٨٣ ، ١/ ٢٥ ، الفيوميّ ، ١٩٢٢ ، ٢٩/١ ، الفيروزآباديّ ، ٢٠٠٥ ،٣٤٤، الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٣٨١/١) .

وبعد مناقشته بعض الأقوال قال : " مقابل الفتح الذي هو الأفصح على ما عند الناظم وأصله في أمر إذا ولي ، الضم والكسر ... يزاد هذا الفعل على مثلثات قطرب لاستعماله مثلثا لمعان مختلفة، فيقال : أَمِرَ كفرح إذا كثر ، وأَمَر كنصر ضد نهى ، وأمُر ككرم صار أميرا " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٣٨٢/١) .

فابن الطيّب من خلال المثلثات فتح بابا للاتساع في اللغة ، وهذا ما يبيّنه مقابل الفصيح عنده ، وقوله بزيادة الفعل (أمر) على مثلثات قطرب مراعاة لاستعماله مثلّثا لمعانٍ مختلفة .

١٠ _ في مواضع عدّة من الموطّئة يعمد ابن الطيّب الفاسي إلى ترتيب اللغات المتعددة في المادة اللغويّة الواحدة بحسب الفصاحة ، من ذلك بيانه تسلسل اللغات في (عثر) من حيث الفصاحة ، قال : " حاصل اللغات المذكورة في عثر أربع :

عَثَر بفتح العين المهملة والمثلثة يعْثِر بالكسر كيضرب ويعثُر بالضم كينصر ، وعثِر بكسر المثلثة يعثَر بفتحها كعلم ، وعثُر بضم المثلثة فيهما ككرم ، وأفصح اللغات الأولى ثم الثانية ، ومقابل الفصيح الكسر والضم " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٧٣/١) .

فابن الطيّب رتّب اللغات المذكورة في المادة اللغويّة (عثر) بحسب الفصاحة ، فوضع الأفصح في المقدّمة ، ثم الفصيح ، ثم ما يقابل الفصيح .

ونجد في الموطّئة أنّ ابن الطيّب حين يذكر تسلسل اللغات من حيث الفصاحة _ سواء أكان ما يذكره هو أم ما ينقله عن العلماء _ ينتقد ترتيب أو ذكر اللغات من قبل صاحب النظم (ابن المرحّل) ، من ذلك ذكر اللغات في (لغب) ، فبعد أن أورد بيت ابن المرحّل :

وَلَغَبَ الْإِنسَانُ فَهْوَ يَلْغُبُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ بِمَعْنَى يَتْعَبُ

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ٥) ذكر أنّ ما أورده اللغويّون في (لغب) أربع لغات : لغَبَ يلغَبُ (بفتح عينيهما) ، ولغِبَ (بفتح العين) يلغُبُ (بضم العين) ، و لغِبَ (بكسر العين) يلغَبُ (بفتح العين) ، و لغُب يلغُب (بضم عينيهما) ، وذكر أنّ الجوهريّ اقتصر على ذكر اللغتين : الثانية والثالثة ، وأغفل ذكر الأولى التي هي الفصحى، وقد ضعّف اللغة الثالثة ، ثم ذكر ابن الطيّب أنّ أضعف اللغات الرابعة معللا ضعفها بقلتها وقلّة ناقليها (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٧٩/١) وقد انتقد ابن الطيّب ترتيب ابن المرحّل اللغات في (لغب) ، قال : " وكان على الناظم أن يقدم الفتح على الضم لأنه أفصح كما مر ، وكأنه اعتمد في ذلك الجوهري حيث اقتصر على الضم فقط "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٨٠/١) .

١١- من السمات المنهجيّة في موطّئة الفصيح أنّ ابن الطيّب يحجم أحيانا عن المناقشة ، ويفتح المجال أمام القارئ للبحث والتدبّر، من ذلك تعقيبه على قول الفيّومي في عربيّة (الكَوْسَج) في شرحه قول ابن المرحّل :

... ... وَيُعْرَفُ الْكَوْسَجُ فِي الْخَدَّيْنِ

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣،٨٧) فبيّن أنّ (الكَوْسَج) بالفتح _ بحسب ما نُقِلَ عن ثعلب والجوهريّ والفيّومي وغيرهم _ وذكر أنّ الفيروزآبادي عدّ الضم فيه لغة ، وقد يكون بالضم مقابلا للفصيح (ثعلب ، د.ت ، ٢٩٠ ، الجوهريّ ، ١٩٩٠، ٣٣٧/١ ،الفيوميّ ، ١٩٢٢ ، ٧٣١/٢ ، الفيروزآباديّ ، ٢٠٠٥، ٢٠٣، الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٧٠٤/٢) ، ثمّ بيّن أقوال

العلماء في أصله ، فذكر أنّ الأزهري أنكر أن يكون له أصل في العربيّة ، وجدير بالذكر أنّ الأزهريّ لم يذكره في تهذيب اللّغة ، وذكر كذلك أنّ الجوهريّ عدّه معرَّبا (الجوهريّ ، ١٩٩٠ ، ٣٣٧) ، ثمّ قال : " واستدلّ في المصباح على عربيته بأنهم بنوا منه الفعل فقالوا :كَسَجَ كَسْجًا إذا لم تنبت له لحية ، وفيه تأمل "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٧٠٤/٢) .

فحين ذكر استدلال الفيوميّ على عربيّة (الكوسج) ، عقّب عليه بأنّه فيه تأمّل ، من دون أن يناقش هذا القول ، تاركا المجال للقارئ ليبحث فيه ويتدبّره .

١٢ – من الأساليب المنهجيّة المهمة في الموطّئة (التنبيهات) التي كان لها أثرٌ كبيرٌ في التنمية والاتساع في الموطّئة ، من ذلك قوله في (أشهرَ) رباعيا ، فبعد أن استوفى الأقوال في (شهر) وناقشها ، قال :" تنبيهان : الأول : منع في المصباح أن يقال أشهرته وأبرزته ، وزعم أنه غير منقول وصرح به في القاموس والصحاح وغيرهما . الثاني : زعم المحدثون أنه ليس في الكلام أَفْعِلة جمعا لفاعل معتل اللام إلا أودية جمع وادي ... ومال إليه بعض أهل اللغة وهو مردود بالأندية جمع نادي كما مر عن المصباح ويشهد له قوله :

هباط أودية حمال ألوية شهاد أندية سرحان فتيان " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٢٩٩/١)

فالتنمية والاتساع جليّان في التنبيهين اللذين ذكرهما ابن الطيّب ، فقد ردّ على الفيوميّ في منعه (أشهرته ، وأبرزته) بأنّه صرّح به الفيروزآبادي في القاموس ، والجوهري في الصحاح ، وغيرهما ، وفي التنبيه الثاني ردّ على المحدّثين في اقتصارهم على (أودية) جمع وادٍ في (أَفْعِلة) جمع فاعل معتل اللام ، فاحتجّ عليهم باستعمال (أندية) جمع نادٍ ، وعزّز احتجاجه بشاهدٍ شعريّ .

ومن الجدير بالذكر أنّ ابن الطيّب يلجأ أحيانا إلى التنبيه ليكون خلاصة عمّا ذكره وناقشه ، كما في شرحه قول ابن المرحّل:

وَقَدْ كَفَأْتُ يَا فَتَى إِنَائِي قَلَبْتُهُ وَكَانَ ذَا اسْتِوَاءِ

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ٣٨) فبعد شرحه للبيت ، وبيانه للغة الأفصح في (كَفَأَ) ، و اللغة الأخرى التي ذُكِرت فيه ، جاء بالتنبيه ليضعه خلاصة عمّا سبق بيانه ، قال : " تنبيه : تلخص مما قدمناه أن كفأ ، وقلب ، وكب ، متحدة المعنى

والاستعمال ، فتستعمل ثلاثية ورباعية بمعنى واحد ، وأن كب يستعمل ثلاثيا متعديا ورباعيا قاصرا على خلاف المتعارف وله نظائر تأتي مستوفاة "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٤١٩/١) .

١٣ – من بين السمات المنهجيّة عند ابن الطيّب في موطّئته التي عززت التنمية اللغويّة ، أنّه بعد أن يبيّن الآراء في المادة اللغويّة ، وما يتعلّق بها ، يضع (تكملة) ليتتبع فيها ما لم يذكره ، ليكتمل القول في المادّة اللغويّة من النواحي جميعها ، من ذلك بيانه لقولهم : (نفيتُ الرجل) ، فبعد أن بيّن الفعل واستعماله ودلالته ، وأقوال العلماء فيه ، وشواهده وكلّ ما يتصل بها ، قال : " تكملة : يقال : نفى فلان الشيء : جحده والسيلُ الغثاءَ : حمله ، والريحُ الترابَ أطارته ، والسحابة ماءها : مجَّتْه وزيد فلانا : حبسه في سجن ، كلها متعدية ويقال نَفَى الشيءُ : زال ، والشعرُ : سقط الثلاثة الأخيرة عن ابن القطاع وما قبلها عن الشيرازي " (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٢٦٢/١) .

١٤ – من السمات المنهجيّة المهمة في الموطّئة التي كان لها الأثر الكبير في ترسيخ التنمية والاتساع عند القارئ ، أسلوب (الحوار) ، فعمد ابن الطيّب إلى وضع اسئلة متخيّلة في ذهن القارئ ، ثمّ يجيب عنها تعزيزا للموضوع عند القارئ ، كأن يقول : (فإن قلت : ... قلت :) (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٣١٣/١) أو (فإن قيل :... فالجواب) (الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ٦٤/١) ، من ذلك قوله في صياغة اسم التفضيل (أحمق) من الفعل (حمق) ، فبعد أن بيّن لفظ المثل :" أَحْمَقُ من رِجْلَةٍ " (ابن سلّام ، ١٩٨٠ ، ٣٦٦) ، بيّن أنّ (أحمق) اسم تفضيل من (حمق) ، ثم قال بعد أن أوضحَ دلالته ، محاورا : " فان قلت : صرح أهل العربية بأن الفعل إذا كان الوصف منه على أفعل نحو أحمر وأبيض وأشهل وما أشبهه امتَنَع صوغُ اسم التفضيل منه ، وكذلك صيغتا التعجب ، وحمق من هذا القبيل فكيف استعمل منه اسم التفضيل "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١١١٧/٣) .

فأجاب ابن الطيّب : " قلت : هو وان كان كذلك لكنهم توسعوا في الأفعال الدالة على الحمق ، وبنوا منها اسم التفضيل وفعلي التعجب حملا لها على معنى الجهل الذي هو الأصل فيها فقالوا : مَا أَحْمَقَهُ ... حتى إن صوغ أبنية التفضيل والتعجب من الفعل الدال على الحمق ربما يُحكم فيه بالقياس "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١١١٧/٣ ، ١١١٨) .

ونجده في مواضع أُخَر استعمل ابن الطيّب أسلوب الحوار ، ليبيّن مقابل الفصيح ، من ذلك قوله في شرح بيت ابن المرحّل:

وَهَذِهِ أَكِيلَةُ الّسبَاعِ وَهَذِهِ أَكُولَةٌ للرّاعِي

(ابن المرحّل ، ٢٠٠٣ ، ١٧٨) قال : " فان قلت : ما مقابل الفصيح ؟ قلت : لعله الأُكولة بضمتين فقد نقلها صاحب القاموس وقال : هي قبيحة "(الفاسيّ ، ١٩٩٢ ، ١٣١٢/٣) .

الخاتمة :

إنّ أثر منهج ابن الطيّب الفاسيّ في تنمية اللّغة تجلّى بما يأتي :

١- إنّ تنمية اللّغة عند ابن الطيّب انبثقت من منهجه فيما يتعلّق بمقابل الفصيح ، حيث أثبت في كثير من المواضع صحّة مقابل الفصيح ، وعدّه فصيحًا مادامت العرب قد تكلّمت به ؛ لذلك نجده قد أولى هذا الموضوع عناية فائقة في شرحه ، سواء أكان من خلال بيان آراء العلماء فيه أم من خلال ما رُويَ عن العرب .

٢- إنّ منهج ابن الطيّب المتساهل في قبول اللّغات التي طرحها ثعلبٌ من فصيحه كانَ له الأثر الكبير في تنمية اللّغة ، حيث نجد ابن الطيّب في مواضع كثيرة يذكر اللّغات المتعددة في المادّة اللّغويّة على الرغم من اختلاف موضعها في سلّم الفصاحة .

٣- ونجد أثر منهجه في تنمية اللغة بطريقة تناوله المواد اللغويّة ، وأقوال العلماء فيها ، والردّ على المتشددين منهم ، وتتبع القصور والزيادة عندهم ، كما أنّه تجلّى في بعض السمات المنهجيّة التي تكاملت مع سعيه في تنمية اللغة .

المصادر والمراجع :

أَوّلا : الكتب :

- الأفعال : ابن القطاع الصقليّ ، علي بن جعفر السعديّ (ت ٥١٥ هـ) عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

- الأمثال : ابن سلّام ، أبو عبيد القاسم (ت ٢٢٤ هـ) ، تحقيق . : الدكتور عبد المجيد قطامش ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، و بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ /١٩٨٠ م .

- تاج اللغة وصحاح العربية : الجوهريّ ، إسماعيل بن حماد (ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق : أحمدعبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ـ لبنان ، الطبعة الرابعة ١٩٩٠ م .

- تهذيب إصلاح المنطق : التبريزيّ ، الخطيب ، يحيى بن علي (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق : الدكتور فخر الدين قباوة ،دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.

- تهذيب اللغة : الأزهريّ ، محمد بن أحمد(ت ٣٧٠ هـ) ، تحقيق: مجموعة من الأعلام ،المؤسسة المصريّة العامة للتأليف والنشر ،١٣٨٤ هـ/ ١٩٦٤م .

- شرح الفصيح : اللّخميّ ، ابن هشام (ت ٥٧٧ هـ) ، تحقيق . : الدكتور مهدي عبد جاسم ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ /١٩٨٨ م .

- الفصيح : ثعلب، أبو العبّاس (ت ٢٩١ هـ) ، تحقيق : الدكتور عاطف مدكور ، دار المعارف .

- القاموس المحيط : الفيروزآباديّ ، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ) ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثامنة ١٤٢٦ هـ /٢٠٠٥ م .

- مجمل اللغة : ابن فارس ،أبو الحسين، أحمد بن فارس بن زكريّا (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق: الأستاذ الدكتور زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦ م .

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي : الفيّوميّ ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) ،تحقيق: حمزة فتح الله ، المطبعة الأميرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ١٩٢٢ م .

- مقاييس اللغة : أحمد بن فارس ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- موطأة الفصيح (نظمُ فصيحِ ثعلبٍ) : ابن المرحَّل ، مالك بن عبد الرحمن (ت ٦٩٩ هـ) ، تحقيق : عبد الله بن محمد سفيان الحكميّ ، دار الذخائر، الخبر، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

- موطّئة الفصيح لموطأة الفصيح : ابن الطيّب الفاسيّ (ت ١١٧٠ هـ) ، تحقيق : عبد الستار عبد اللطيف أحمد سعيد، أطروحة دكتوراه ، جامعة عين شمس – كليّة الآداب ١٩٩٢ م .

ثانيا : الدوريّات :

- اللّفظ ومستواه الصوابي من خلال موطّئة الفصيح لابن الطيّب الشرقيّ : الدكتور عبد العلي الودغيريّ ، مجلّة اللسان العربي ، العدد (٢٩) ، الرباط ١٩٨٧ م .

The Sources and the references

First:The books

-Al- AFa'al: Ibn al-Qataa al-Siqali, Ali Ibn Jaafar al-Saadi (d. 515 AH) Alam al-Kutub, Beirut, first edition 1403 AH / 1983 AD.

-Al-amthal: Ibn Sallam, Abu Obaid Al-Qasim (d. 224 AH), investigative by: Dr. Abd al-Majeed Qatamish, Dar Al-Mamoun Heritage, Damascus, and Beirut, first edition 1400 AH / 1980 AD.

-Taj al-Lughah and Sihah al-Arabiya: al-Jawhari, Ismail Ibn Hammad (d. 370 AH), investigative by: Ahmad Abd al-Ghafour Attar, Dar al-Ilm for Millions, Beirut - Lebanon, fourth edition, 1990 AD.

-Tahtheeb eslah Al-mantiq : Al-Tabrizi, Al-Khatib, Yahya Ibn Ali (d. 502 AH), investigative by: Dr. Fakhr Al-Din Qabawah, Dar Al-Afaq Al-Jadeeda, Beirut, first edition 1403 AH / 1983AD.

-Tahtheeb al-Lughah : Al-Azhari, Muhammad bin Ahmed (d. 370 AH.), investigative by: A group of investigators, the General Egyptian Institution for Composition and Publishing, 1384 AH / 1964 AD

-Sharh Al-Faseeh: Al-Lakhmi, Ibn Hisham (d. 577 AH), investigative by : Dr. Mahdi Abd Jassim, Ministry of Culture and Information, Iraq, first edition 1409 AH / 1988 AD.

-Al-Faseeh: Tha'lab, Abu Al-Abbas (d. 291 AH), investigative by: Dr. Aatef Madkour, Dar Al-Maaref.

-Al-qamus al-muheet: Al-Fayrouzabadi, Majd Al-Din Muhammad bin Yaaqoub (d. 817 AH), investigation: Heritage Investigation Office at the Al-Resala Foundation, Beirut - Lebanon, eighth edition 1426 AH / 2005 AD.

-The Whole of the language: Ibn Faris, Abu Al-Hussein, Ahmed bin Faris bin Zakaria (d. 395 AH), investigative by: Professor Dr. Zuhair Abd al- Mohsen Sultan, Al-Resala Foundation, Beirut, second edition 1406 AH / 1986 AD.

-Al-Misbah Al-Munir in Gharib Al-Sharh Al-Kabeer by Al-Rafei: Al-Fayumi, Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Fayoumi (d. 770 AH), investigative by : Hamza Fath allah, Amiri printing Press, Cairo, fifth edition 1922 AD.

-Maqayyat of Language: Ahmed Ibn Faris , investigative by : Abd al-Salam Muhammad Harun, Dar al-Fikr, 1399 AH / 1979 AD.

-Mauta' al-Faseeh : Ibn al-Murhal, Malik Ibn Abd al-Rahman (d. 699 AH), investigative by: Abdullah Ibn Muhammad Sufyan al-Hakami, Dar al-Dhakhira, al-Khabar, first edition 1424 AH / 2003 AD.

-Muwatta' al-Faseeh for Mauta' al-Faseeh: Ibn al-Tayyib al-Fassi (d. 1170 AH), investigative by: Abd al-Sattar Abd al-Latif Ahmad Saeed, PhD thesis, Ain Shams University - Faculty of Arts 1992 AD.

Second:the journals:

-The pronunciation and its correct level through the Muwatta' al-Faseh by Ibn al-Tayyib al-Fassii: Dr. Abd al-Ali al-Wadghiri, Journal of the Arabic Language, Issue 29,Al- Rebaat 1987 AD.